حنين الزوج — من قصص مجا

[للأستاذ كامل كيلاني]

صفحة مختارة من المخطوط الجحوى النفيس الذى عثرت عليه ولعله مكتوب بخط صاحبه أو أحد معاصريه.

قال : « أبو الفضل عبد الله دُجَين بن ثابت » الملقب « بجحا » :

« لم يلبث الظلام أن خيم على المدينة وساكنيها ، وأطفئت الأنوار ، وسكنت الجلبة والضوضاء ، وساد الصمت ، وتلألأت النجوم فى السماء ، ورددت الكلاب نباحها كلما طرق آذانها صوت ، أو أحست نأمة أوشعرت بقادم

أما بيت « أبى الفضل جحا » ، فقد أوحش (أى : خلا من ساكنه) ، فجلست « رباية » زوجه ، أمام مِغزلها — بعد أن نام ولداها وجارتها — تفكر فى ذلك الغائب الذى كان يملأ بيتها بهجة وسعادة . وظلت تغزل وهى تسلى نفسها بالأنشودة القديمة التالية :

يا طير ، يا أشجار ، يا روضة ... فيها من الفردوس أزهارُ
يا خيط ، يا إبرة ، يا مِغزلى ، ... يا نجم ، يا كوكب ، يا دار
يا نحل : طنى واملئى مسمعى ، ... وحدثى قلبى: « متى ساروا ؟ »
سافر ربُّ الدار عن داره ، ... وقد خلت من أنسه الدار

* * *

عنـاية الله ، وتوفيقـه ... ولطفه ، يحجب وسمـار
والشمس والبدر ونجم السما ... تحوطه منهن أنوار
يا نحل طنى واملئى مسمعى ... وحدثى قلبى : متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره ... وأوحشت من بعده الدار

* * *

يا ورد ، يا ريحان ، يا نرجساً ... يحفـه نور وأنوار
يا ملء دارى وفؤادى معاً ... قد فرقتنا عنـك أقدار
يا نحل طنى واملئى مسمعى ... وحدثى قلبى متى ساروا

سافر رب الدار عن داره ... وأظلمت من بعده الدار

* * *

عاد فراغا كل شىء هنا ... منذ ترامت بك أسفار
متى يرى الدار وسكانها ؟ ... متى تراه هذه الدار ؟
يا نحل طنى واملئى مسمعى ... وحدثى قلبى متى ساروا ؟
سافر رب الدار عن داره ... فهل تسلى عنه ذيّار ؟

كامل كيلانى

خطأ شائع :

جاء فى (الرسالة ٦٣٧) فى مقالة « القطبان الأرضيان والإسكيمو » ما نصه :

« وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا سنة ١٩٤١ »

وهذا خطأ شائع تلقيناه قديماً عن معلمينا ، واشتهر على ألسنة عامة أهل الشام وخاصتهم ، وقد فتشت عن سند له من رواية ثابتة أو نقل يعتمد عليه فلم أجد ؛ والصواب ما ذكره ابن طولون مؤرخ الشام فى كتابه « تاريخ الصالحية » ، وهو من أجل مخطوطات المكتبة الظاهرية فى دمشق قال عند الكلام على هذه القبة :

« وهى من بناء نائب الشام برقوق الذى دخل دمشق فى ٧ جمادى الأولى سنة ٨٧٥ دخولا عظيما ، ثم خرج لقتال سوار بك فأخذه غدراً وعاد إلى دمشق ١٣ صفر ٨٧٧ وبنى هذه القبة وسماها « قبة النصر » . (أقول : وبقى ذلك اسمها إلى أن هدمت من ثلاث سنين) . وكان برقوق هذا سفاكا فتاكا مات فى ١٢ شوال سنة ٨٧٧ هـ وصُبِّر[1] وحمل إلى مصر فدفن فى القاهرة قرب الرميلة كما وصى » اهـ

وهذه القبة كانت على ظهر جبل قاسيون تعلو بسطح البحر بنحو ألف ومئتى متر ، وكانت علم دمشق يراها القادم على البلد من مشارف حوران

* * *

(١) صبر : أى حنط ، وهذه الكلمة العربية باقية فى ديارنا الشامية تستعمل فى هذا المعنى (ناجى)

وفى العدد (٣٨٠ من الرسالة) سؤال عن هذه القبة ، والقبة الأخرى القائمة على الجبل المطل على وادى الربوة فى دمشق ، ولم يجب عليه أحد ، وهذا الجواب :

أما القبة الثانية المسماة (قبة السيار) ، فهى من بناء الأمير سيار الشجاعى

(دمشق) ناجى الطنطاوى

ابن عباسه لا ابن عباس :

الاستدراك الذى أخذه علينا الأديب الفاضل على جلال الدين شاهين صحيح ومقبول ؛ ولكن منشأ اللبس يعود إلى تصحيف وقع فى كلمتنا ولم نتكلف تصحيحه . والقصة التى سجلها صاحب نشوار المحاضرة ، عن قرّاد شارع الخلد ببغداد ، إنما تنسب إلى « ابن عياش » لا ابن عباس . وإلا فأين يقع زمن هذا الأخير أو مكانه ، من بغداد وشارع الخلد على عهد العباسيين ؟

وابن عياش كان من رجال الدولتين : ولد فى أيام سليمان بن عبد الملك (عام ٩٧ هجرية) وتوفى قبل وفاة الرشيد بشهر (عام ١٩٣ هـ) . وهو المحدث الثقة أبو بكر بن عياش الكوفى . اختلف فى اسمه ، وأشهر ما قيل فى ذلك «شعبة» ثم «مطرّف» وكان من أصحاب عاصم والكلبى ، ومن رواة شعر الفرزدق وذى الرمة ، روى عنهما شعرهما سماعاً

وامتداد الحياة بابن عياش إلى آخر عهد الرشيد لايوجد شكا فى أنه شهد بعينيه ما كان يجرى على الوزراء فى ذلك العهد من نكبات الزمان ، مع الإقرار بأن هذه الحوادث كانت لا تزال آخذة بسبيل التزيد والانتشار ، حتى لم تبلغ ذروتها ، وتستكمل سورتها البشعة إلا فيما تلا ذلك من عصور

فقصة القراد البغدادى غير مستبعدة على هذا الوجه ، ولاسيما إذا ذكرنا أن ابن عياش كان من ثقاة المحدثين ، الذين لا يفترون ولا يفترى عليهم ، وقد وثّقه أحمد بن حنبل . كما كان من أهل الوقار والهيبة حتى لقالوا : إن الاختلاف فى اسمه يرجع إلى كف الناس عن سؤاله تهيباً له .

هذا ، ودقة العبرة ولطف المغزى فى القصة يجعلنا لا نستبعد نسبتها إلى ابن عياش ، إذ كان الرجل من أهل الفكرة العميقة ، الذين يتلمسون من صغائر الحوادث جلائل العبر . وكان لا يستنكف أن يستقصى أتفه الأمور ، ويتتبع أضيق المسالك فى سبيل الوصول إلى حقيقة صغيرة يضيفها إلى ما تستوعبه نفسه من مباهج العلم ومقاتن المعرفة . حدث أبو هاشم الدلال قال : رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً ، فقلت له : مالى أراك مهموماً ؟ قال : سيف كسرى لا أدرى إلى من صار ! !

محمود عزت عرفة

المدرس بقوص الأميرية

من الشعر الضائع لحافظ ابراهيم

عثرت فى بعض أوراقى القديمة على هذه الأبيات نقلا عن بعض الصحف القديمة لتشابه الفكرة بينها وبين ما قاله برنارد شو عن الهرم وأبى الهول . وقد راجعت الديوان فلم أجدها ، لذلك أثبتها هنا فى مجلة (الرسالة) التى تحفظ الأوابد :

سخر العلم ليبنى آية ... فوق شط النيل تبدو كالعلم
هى ذكر خالد لكنه ... عابس الوجه إذا الذكرى ابتسم
كل ما فيها على إعجازها ... أنها قبر لجبار حُطَم
ليته سخّر ما فى عهده ... من قوى فى غير تقديس الرمم
من فنون أعجزت أطوارنا ... وعلوم عندها الفهم وجم
وبنان مبدعات صورت ... أوجه العذر لعباد الصنم
أبدعت ما أبدعت ثم انطوت ... وعلى أسرارها الدهر ختم

عبد القادر محمود

صديقى القارئ

الكتب الآتية

ضرورية لثقافة فكرك ولسانك

قرش

دفاع عن البلاغة : للأستاذ أحمد حسن الزيات ١٥

آلام فرتر : ٤٠

رفائيل : ٤٠

وحى الرسالة : ٤٠

اطلبها من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة